بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا ﴾

الحَمْدُ للَّهِ الَّذِي أَمَرَ عِبَادَهُ بِالسَّيْرِ فِي الأَرْضِ، وَالسَّعْيِ فِي نَوَاحِيهَا، وَسَخَّرَ كُنُوزَ الرِّزْقِ فِي جَمِيعِ جَوَانِبِهَا، قَائِلًا: ﴿ فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا ﴾[١]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، النَّبِيُّ الهَادِي الأَمِينُ، خَيْرُ السَّاعِينَ، وَسَيِّدُ العَامِلِينَ، وَقَائِدُ الغُرِّ المَيَامِينِ، ﷺ وَعَلَى أَصْحَابِهِ الأَكْرَمِينَ، وَتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ:

اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ التَّقْوَى، وَاسْتَمْسِكُوا مِنَ الدِّينِ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[٢].

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ:

لَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ المُسْلِمَ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ لِعِبَادَتِهِ، وَحَضَّهُ عَلَى عِمَارَةِ الأَرْضِ؛ لِكَوْنِهَا جُزْءًا لا يَتَجَزَّأُ مِنْ تِلْكَ العِبَادَةِ؛ وَلِذَا نَجِدُهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يَقْرِنُ بَيْنَ العِبَادَةِ وَالعِمَارَةِ فِي مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ العَظِيمِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[٣]، وَقَالَ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[٤]. وَفِي ذَلِكَ تَنْبِيهٌ جَلِيلٌ عَلَى عَظِيمِ أَمْرِ السَّعْيِ وَالعَمَلِ، وَتَنْوِيهٌ بِمَكَانَةِ المَسِيرِ فِي الأَرْضِ وَالانْتِشَارِ طَلَبًا لِرِزْقِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ؛ فَالمُسْلِمُ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ قَائِمٌ فِي عِبَادَةٍ مَا دَامَ سَاعِيًا فِي سَبِيلِ كَسْبٍ يَبْتَغِي مِنْ فَضْلِ اللَّهِ، طَامِعًا فِي ثَوَابِهِ؛ فَقَدْ جَعَلَ الإِسْلامُ السَّعْيَ فِي الكَسْبِ الحَلالِ مِنَ العِبَادَاتِ الَّتِي يُرْجَى بِهَا الرِّزْقُ وَالثَّوَابُ مَعًا، فَهَذَا

(١) الملك: ١٥
(٢) آل عمران: ١٠٢
(٣) الجمعة: ٩، ١٠
(٤) المزمل: ٢٠

رَسُولُ اللَّهِ جَالِسٌ بَيْنَ أَصْحَابِهِ يَوْمًا، إِذْ مَرَّ رَجُلٌ فَرَأَى أَصْحَابُ النَّبِيِّ مِنْ جَلَدِهِ وَنَشَاطِهِ – فِي العَمَلِ وَالكَسْبِ– فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يُعِفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ))، فَهَنِيئًا لِلْمُسْلِمِ الَّذِي يَسْعَى فِي مَصَالِحِ دُنْيَاهُ، قَدْ أَخْلَصَ نِيَّتَهُ للَّهِ، فَنَالَ خَيْرًا فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ، فَعَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ.

مَعَاشِرَ المُؤْمِنِينَ:

إِنَّ الإِسْلامَ الَّذِي أَمَرَ بِالعَمَلِ قَرَنَهُ بِالنَّشَاطِ وَالسَّعْيِ وَالتَّوَكُّلِ، وَحَذَّرَ مِنَ التَّوَانِي وَالكَسَلِ وَالتَّوَاكُلِ: ﴿ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[1]، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿ فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ ﴾[2]، وَيَقُولُ: ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾[3]، وَهَذَا الخِطَابُ خِطَابٌ لِلنَّاسِ كَافَّةً، لَمْ يُسْتَثْنَ مِنْهُ الأَنْبِيَاءُ الكِرَامُ، وَهُمْ أَكْرَمُ الخَلْقِ عَلَى اللَّهِ، فَلَقَدْ كَانُوا سُعَاةً فِي طَلَبِ الرِّزْقِ، فَكَانَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ نَجَّارًا، وَكَانَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلامُ حَدَّادًا، وَإِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلامُ قِيلَ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ خَاطَ الثِّيَابَ وَلَبِسَهَا وَخَاطَ لِلنَّاسِ، وَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ عَمِلَ رَاعِيًا لِلْغَنَمِ عِنْدَ نَبِيِّ اللَّهِ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ عَمِلَ فِي رَعْيِ الغَنَمِ ثُمَّ فِي التِّجَارَةِ مَعَ قُرَيْشٍ وَمَعَ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَلِسَائِلٍ أَنْ يَسْأَلَ: لِمَاذَا كَانَ الأَنْبِيَاءُ يَسْعَوْنَ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ وَيَطْرُقُونَ أَبْوَابَ العَمَلِ؟ فَالجَوَابُ أَنَّ الأَنْبِيَاءَ هُمْ أَشْرَفُ الخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ وَأَكْرَمُ الخَلْقِ عَلَيْهِ، وَلَمَّا كَانَ العَمَلُ وَالكَسْبُ شَرَفًا وَكَرَامَةً يَدْفَعُ بِهِ الإِنْسَانُ عَنْ نَفْسِهِ ذُلَّ المَسْأَلَةِ، كَانَ الأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِمْ أَوْلَى النَّاسِ بِهَذَا الشَّرَفِ، وَأَجْدَرَهُمْ بِهَذِهِ الكَرَامَةِ، فَكَانُوا لِلنَّاسِ فِي هَذَا قُدْوَةً وَأُسْوَةً وَأَيَّ أُسْوَةٍ. وَلَقَدْ نَبَّهَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى هَذَا المَعْنَى فَقَالَ: ((مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ)).

فَاتَّقُوا اللَّهَ –عِبَادَ اللَّهِ– وَاسْعَوْا فِي طَلَبِ الرِّزْقِ وَالكَسْبِ الحَلالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، شُرَفَاءَ كُرَمَاءَ مُجْتَهِدِينَ، وَعَلَى رَبِّكُمْ دَائِمًا مُتَوَكِّلِينَ.

(١) الجمعة: ١٠
(٢) الملك: ١٥
(٣) المزمل: ٢٠

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

الحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ عِبَادَهُ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَهُمْ فِيهَا، وَحَضَّهُمْ عَلَى تَعْمِيرِهَا بِالخَيْرِ فِي كُلِّ نَوَاحِيهَا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَرْشَدُ العَامِلِينَ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ العَمَلَ وَالكَسْبَ الَّذِي يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ هُوَ الَّذِي يَكُونُ مُنْضَبِطًا بِضَوَابِطِ الشَّرِيعَةِ، مُسْتَرْشِدًا بِنُورِ اللهِ، فَتَكُونُ النِّيَّةُ فِيهِ للهِ، سَعْيًا لِإِعْفَافِ النَّفْسِ، وَمَنْ تَلْزَمُ المَرْءَ نَفَقَتُهُمْ مِنَ الأَهْلِ وَالأَقَارِبِ، لا رِيَاءً وَلا مُفَاخَرَةً وَلا تَعَالِيًا عَلَى النَّاسِ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[١].

وَالمُسْلِمُ الحَقُّ يَتَحَرَّى الحَلالَ فِي كَسْبِهِ، وَيَجْتَهِدُ فِي إِتْقَانِهِ، مُسْتَحْضِرًا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[٢]، وَقَوْلَهُ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾[٣]، هَذَا، وَإِنَّ مَنْ أَرَادَ إِحْسَانَ عَمَلِهِ ابْتَعَدَ عَنِ الغِشِّ وَالخِدَاعِ، وَتَمَسَّكَ بِالصِّدْقِ وَالأَمَانَةِ، وَتَحَرَّى الحَلالَ فِي رِزْقِهِ، وَاتَّقَى الشُّبُهَاتِ؛ كَمَا قَالَ ﷺ: ((وَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ)). وَمِنْ ثَمَرَاتِ الكَسْبِ الحَلالِ: العِفَّةُ عَنِ الحَرَامِ، وَالغِنَى عَنْ سُؤَالِ النَّاسِ، وَهُوَ عِزٌّ لِلْمُؤْمِنِ وَنَجَاةٌ لَهُ، كَمَا قَالَ جِبْرِيلُ -عَلَيْهِ السَّلامُ- فِي وَصِيَّتِهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ((وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ المُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ، وَعِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ)). بَلْ إِنَّ فِي السَّعْيِ الحَلالِ تَنْمِيَةً لِلْبِلادِ، وَازْدِهَارًا لِلاقْتِصَادِ، وَرِفْعَةً لِلمُجتَمَعِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ-، وَكُونُوا خَيْرَ عُمَّارٍ لِبِلادِكُمْ، وَخَيْرَ سُفَرَاءَ لِخَيْرِ دِينٍ، فَإِنَّكُمْ ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[٤].

(١) القصص: ٧٧
(٢) هود: ٧
(٣) الكهف: ٣٠
(٤) آل عمران: ١١٠

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إمَامِ الْمُرْسَلِينَ، مُحَمَّدٍ الهَادِي الأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾(١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلا تَدَعْ فِينَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلامَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ كُنْ عَوْنًا للمُسْلِمِينَ والمُسْتَضْعَفِينَ فِي كُلِّ مَكانٍ، وَكُنْ مَعَهُمْ وَثَبِّتْهُمْ وَارْبِطْ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَصَبِّرْهُمْ، وَاخْذُلْ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُمْ، وَاجْعَلِ الدَّائِرَةَ عَلَيْهِ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّباتَ فِي الأَمْرِ، وَالعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، ونَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، ونَسْأَلُكَ قُلُوبًا سَلِيمةً، وأَلْسِنةً صَادِقةً، ونَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، ونَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَينِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ، وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ. رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ، المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.

(١) الأحزاب: ٥٦